كلمة
الرئيس محمد أنور السادات
بمناسبة زيارة الرئيس الفرنسى للقاهرة
١٠ ديسمبر ١٩٧٥

الصديق العزيز الرئيس فاليرى جيسكار ديستان . .

السيدة قرينة الرئيس فاليرى جيسكار ديستان :

الأصدقاء الأعزاء :

لعلكم قد لمستم اليوم كم كان الشعب المصرى الوفى تواقا للترحيب بالرئيس الفرنسى الصديق . والتعبير عن المشاعر العميقة التى يكنها لشعب فرنسا المجيد . الذى سجل تاريخه صفحات من أروع ما جاد به التاريخ الانسانى . وقام بدور طليعى رائد فى دفع قضية الحرية والتقدم إلى افاق جديدة . تتحقق فيها سيادة الكرامة الانسانية والمبادىء السامية .

فباسم الجماهير التى خرجت اليوم سعيدة لاستقبالكم ارحب بكم فى مصر . . صديقا تعتز به الأمة العربية . وقائدا محبوبا لشعب لا تنضب قدرته على العطاء والابداع الخلاق .

والواقع أيها الصديق إننا كلما امعنا النظر ، وجدنا أن اللقاء بين شعبينا على طريق السلام والتعاون كان أمرا حتميا ، يفرضه الماضى بما يحتويه من تراث خالد ، ويكرسه الحاضر بما يحمله من خير متبادل ومنفعة مشتركة ، ويرعاه المستقبل بكل ما يبشر به من أمل ورجاء .

فكلا الشعبين يعتز بتاريخه الحضارى وقيمه الأصيلة ، ويؤمن بأن الثقافة هى الركيزة الأساسية فى حياة الانسان ، ومن ثم فهى أوثق الروابط التى تجمع بين الشعوب وتضمها فى اطار واحد . مهما تعددت روافدها وتنوعت أشكال التعبير فيها ، ولذلك لم يكن غريبا أن يظهر هذا الاهتمام الفائق من جانب علماء فرنسا ومفكريها بحضارة مصر وتاريخها القديم والحديث ، ووجدوا فيها منهلا خصبا يثرى المعرفة ، ويلهم الفكر والخيال ، وقد تجلى هذا الاهتمام فى المؤلف الخالد الذى كتبه العلماء الفرنسيون بعنوان « وصف مصر » وفى أبحاث شمبليون وماسبيرو ومؤلفات شارل رو وبلاشر وفى كتابات شاتو بريان وريمبو وأناتول فرانس ولوتى إلى جانب عديدين كرسوا حياتهم للحفاظ على الآثار المصرية . . الفرعونية . . والقبطية . . والاسلامية .

ولم يكن غريبا كذلك أن تتجه مصر إلى فرنسا أول ما تتجه ، فى فجر نهضتها الحديثة ، فتوفد أربعين من أبنائها الذين تلقوا علومهم فى الأزهر ، أقدم جامعات الأرض ، إلى فرنسا عام ١٨٢٦ لتحصيل العلم والربط بين الثقافتين ، وظل أبناء مصر منذ ذلك الحين يتوافدون على بلادكم سعيا وراء العلم والآداب والفنون ، وبرز منهم رفاعه الطهطاوى وعلى مبارك ومحمد عبده وطه حسين وغيرهم ممن أسهموا فى اثراء الحياة الفكرية فى المنطقة كلها ، وأقاموا جسور الاتصال بين الحضارة الفرنسية والحضارة العربية والاسلامية الحديثة .

ولعل هذا المكان الذى يضمنا الليلة مثال مجسد لهذا التعاون بين البلدين ، فقد اشترك فى تصميمه وانشائه مهندسان فرنسيان هما كوريل وروسو اللذان عملا – جنبا إلى جنب – مع اخوانهم المصريين ، واشتركا فى نقل بعض ملامح العمارة الاسلامية إلى فن المعمار فى فرنسا .

ثم ان بلدينا تحملا فى مراحل تاريخية متتابعة ، وبحكم وضعهما الجغرافى والاستراتيجى الفريد ، مسئولية مزدوجة ، تتجاوز العلاقات الثنائية بينهما ، إلى الربط بين الحضارتين العربية والأوربية ، والدفاع عن امن المنطقة التى تجمع بيننا فى حوض البحر المتوسط .

والرومانية ، وإعادة نشره فى أوربا ، وكذلك فى تنشيط حركة الترجمة ، التى كانت عاملا حاسما فى النهضة الاوربية فى عصور لاحقة ، فى نفس الوقت الذى اسهمت فى إحياء الثقافة العربية .

الصديق العزيز الرئيس ديستان . . .

يسرنى أن أنكر لكم إنكم ، بما عرفت عنكم من رؤية وحكمة ، قد جعلتم التعاون بين البلدين فى مجال العلاقات السياسية والاقتصادية يسير فى خط متواز مع الروابط الثقافية الوثيقة التى تجمع بينهما على مر القرون ، فقد تعاطفتم مع مسيرتنا نحو السلام والتنمية والتحول الاجتماعى والاقتصادى ، كما تفهمتم الموقف العربى الذى يسعى إلى الحق والعدل ، وحين صرحتم بأن السلام فى الشرق الأوسط لن يتحقق إلا فى اطار تسوية شاملة تضمن الانسحاب عن الأراضى العربية المحتلة بالقوة ، والاعتراف بحقوق الفلسطينيين فى أن يكون لهم – مثل كل طرف – وطن وحدود آمنة تضمنها كل دول المنطقة ، حين صرحتم بهذا ، فانكم قد عبرتم أصدق تعبير عن حقيقة الصراع وجوهره ، وأشرتم إلى الطريق الوحيد الذى يمكن أن يؤدى إلى السلام والهدوء والاستقرار .

ومن جهة أخرى ، تجلى اهتمامكم بخير الأمة العربية وازدهارها فى المبادرة التى قمتم بها إزاء الوضع فى لبنان الشقيق ، حين أوفدتم مبعوثا خاصا قام بدور ايجابى بناء فى محاولة القضاء على الفتنة والصدام بين ابناء البلد الواحد ، وكان واضحا فى كل خطوة قمتم بها فى هذا الصدد أن ما يهمكم هو سلامة لبنان ورفاهية شعبه .

وترون أن الاحداث التى تقع فى المنطقة تقدم لنا كل يوم دليلا جديدا على أن هذا التوتر القائم فيها هو وضع لا يمكن السكوت عليه ، أو السماح باستمراره ، وهو بالتأكيد وضع لا يمكن حصر نتائجه وانعكاساته فى محيط جغرافى ضيق .

من هنا ، كان اصرارنا على الحفاظ على قوة الدفع التى تولدت منذ اكتوبر ١٩٧٣ ، واستثمارها فى تحقيق سلام عادل دائم ، وعدم السماح بتجميد الموقف ، أو العودة به إلى حالة اللاسلم واللاحرب التى لا تؤدى إلى مزيد من العنف .

وكما هو معروف لدى المجتمع الدولى ، فقد اخذنا المبادأة وتمت بالفعل خطوات على الجولان وعلى جبهة سيناء تمهيدا لبحث الازمة ، والوصول بها إلى حل شامل وعادل ، يقوم على الحق وقواعد القانون الدولى .

تهيىء ـ بالتوازى مع غيرها ـ المناخ الملائم للتحرك المتكامل نحو سلام كامل ، تشترك فى صنعه فرنسا .

ويتوازى مع هذا كله ويتمشى معه ، ما اتخذناه من قرارت تاريخية ، ببناء قدراتنا الدفاعية ، على أن نسير فى نفس الوقت فى معركة متوازية مع هذا كله ، بالرغم من ضخامته ، فى معركة التعمير والتشييد اللازمة ، فى كل شبر من أرضنا الطيبة يجلو عنه المعتدى ، وكما تعلمون ، فان معركة التعمير والتشييد تحتاج ـ من ناحية الاعداد والتخطيط والتنفيذ ـ إلى نفس الجهد الذى تحتاجه اى معركة حقيقية .

لهذا كله ، قد تلاحظون أن إصرارى على تحرير الأرض يعادله ويتوازى معه ، إصرار مماثل للبناء وتوفير سبل العيش لشعبنا الكريم فى ظل الكرامة والديمقراطية الحقة ، بما يتفق مع حضارة هذا الشعب ، وتاريخه المجيد ، ومسئولياته فى هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم فقرارنا باعادة الملاحة فى قناة السويس ، هذا الشريان الدولى الحيوى ، ومعركة التعمير والبناء ، يسيران جنبا إلى جنب مع تصميمنا الاكيد على تحرير الأرض وبناء سلام دائم وعادل .

واسمحوا لى ايها الصديق أن اقول أن لدى من الأسباب ما يدعونى للاعتقاد إنكم سوف تضيفون إلى موقفكم الرائد فى الاعتراف بالشعب الفلسطينى ومنظمته وحقوقه ، مواقف مبدئية جديدة ، تجعل القضية اقرب إلى طريق الحل ، وتجعل ثقل الموقف الاوربى عنصرا حاسما فى صالح السلام والرخاء .

ايها الأصدقاء . . .

اسمحوا لى أن ادعوكم للوقوف تحية لضيفنا العزيز الرئيس جيسكار ديستان والسيدة قرينته . . وتحية للشعب الفرنسى الصديق . . وللصداقة الوطنية بين البلدين والشعبين